سعدي يوسف

العام الثالث عشر

(١)
البرزخ

حجرة في الطابق المفرد ...
باب الحجرة المصقول باللمس، وبالاغشية المضطربه
ظلّ مفتوحا على كل المصاريع
بسيطا ، مستفزّا ،
أيها الطفل الذي علّمه القرآن حرف العطف :
من يدخل في الحجرة ، في مقتبل الليل ؟
من « السلمان » سلّمنا
ضُربنا عند باب السجن ،
مثل القمل فُتشنا
ولم يترك لنا السجّان حتى لمسة القرآن .
بابٌ ،
حجرةٌ في الطابق المفرد ...
بابالحجرة المصقول باللمس، وبالاغشية المضطربه
ظلّ مفتوحا على كل المصاريع ...
ترى ... من يدخل الليلة ؟
في سيارة من « نقرة السلمان » ...
في رايات بتروغراد ،
في عينين من غزة ؟
سلمنا الى حراس « بعقوبة » :
يا أرض النتوءات التي تركل حتى كلمات بلّغتهـــا
قوة الحلم ،
ويا أرض الجنود الكتبة ...
هذه الحجرة في آخر « بعقوبة » ،
هذي الحجرة المقتربه ...
من ترى يدخل فيها ؟
من ترى يحسبها مثواه ، أو مضطربه ؟
حجرة للمشنقه
حجرة أم حدقه ؟
حجرة لم يكف .T.N.T عليّ بن محمد
وبيان « الجبهة الحمراء » أن تنسف ...
من يدخل فيها ؟

(٢)
التنفيذ

تستقيم المشنقه
أبدا في آخر الحجرة ...
كان الخشب المدهـــون باللمس وبالجهشة ...
فظا ، مستقيما :
تستقيم الطبقه .
يدخل الحجـــرة عشرون نبيـــا ، يحملـون الورق
الجاهز ، والقهوة ،
والاحكام ، والليل الذي غادر ...
عشرون نبيا أحدقوا بالمشنقه ...
وضعوا الطفل الفلسطينيّ في دائرة الضوء :
عمود المشنقه
كان مما قدّروا أعلى .
وحبل المشنقه
كان مما حسبوا أغلى .
ومعنى المشنقه
كان مما فكروا أجلى .
على كوفية الطفلالفلسطينيأحداق الذيناستمتعوا
بالدم الشاهد .
أحداق الذين استمعوا
لانينالعشب اذ يدخل ما بينحذاءالطفلوالارض..
وأحداق الذين ارتقبوا
قبلة بين مدارين :
البساتين ، وعود المشنقه .
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
تقف الطفل الفلسطيني في الحجرة :
تصغي الانبياء
لصرير الحكم ...
تصغي الطبقة
للارادية ...

تصغي المشنقة
لاغاني الطفل ...
في الساحة ، كان الفجر مبتلاّ
وفي الحجرة كان العنق المائل مبتلاّ
وفي الكوفية الملقاة في زاوية الحجرة ...
أحداق الذين ارتقبوا
قبلة بين مدارين : البساتين ، وعود المشنقة

(٣)
بيسان

بعد أن متنا ، عرفنا الارض ...
سمينا الذي لم يكن الهجس يسميه ...
دعونا الشجر الطالع « بيسان »
وصدر الام « بيسان »
وعنقود الخريف الشهد « بيسان »
وسمينا ضريح الطفل « بيسان »
وقلنا للرصاصات التي تصدأ في اليافنا :
تبدأ بيسان
انتهى البدء ...
ومن كل الخلايا نهضت « بيسان »
من كل الدهاليز التي تكتظّ بواباتهـــا بالزخرف الموروث
من كل المرايا .
هكذا نقرأ بيسان على الصخر الذي علمنا
كيف نغدو الماء ، أو نعدو سرايا ،
وهي « بيسان » قراناها طويلا
في القرى تمحى
وفي الفانوس يهتزّ ضئيلا
وقراناها بعين المنشد الاعمى
قراناها سقوفا من صفيح
وقراناها صفوفا
وحفرناها على الارض التي لمّا نزل نطرد منها
وقلبناها ، وركّبنا حروفا وحروفا
وبراناها ضمادا للجريح .

(٤)
نذور

للفتى « بيسان » غنّينا
وصلّينا
وقدّمنا نذور الفقر والتنظيم
قدّمنا الجذور المُرة ... الاولى
وقدّمنا الثمر .

(٥)
الجلسة

حكماء البدو في الخيمة ...
« بيسان » الفتى يدخل
« بيسان » الفتى يخرج
والجلسة ما زالت :
يدير الحكماء الملتحون القهوة المرة
والخاتم
والتاريخ ...
يمشون على آثار موتاهم
على آثار عشرين نبيا قتلوا طفلا
ويستنّون ما قالوا شريعة .

(٦)
العام الرابع عشر

بينما تصرخ في شهر شباط القطط السود
وترتاح الصبايا
اذ يُراقبن ...
واذ يرقبن .
تأتي نسوة في أول الليل . ويخبرن الصبايا
ان « بيسان » الفتى غاب
وان الدرك الليليّ يرتاد الزوايا
باحثا عنه ...
الهلال الطفل في غيم شباط الداكن استحفى
واخفت زوجة النجار طفلا ضاحكا في كومة القش..
الرجال انتظروا يوما ، فيومين
النساء انتظرت شهرا ، فشهرين
الصبايا انتظرت عاما ، وعامين
و « بيسان » الفتى الغائب ، في غيبته ...
أيّان يأتي ؟
أيّ وعد في السماوات التي تنهدّ بالرعد ؟
وأنّى موضع الغيبة ؟
« بيسان » الفتى ، غاب ...
وكالغائب ، والغيبة ... كانت عشبة تنبت في الارض الخراب .

بغداد